بناء الإنسان في السنة النبوية

إعداد الدكتور:

حمزة بن فايع إبراهيم الفتحي

جامعة الملك خالد بأبها

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتدي، ومن يضلل فلن تجد له وليًّا مرشدًا، وأشهد أنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وصفيه وخليله، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وزوجاته وصحابته والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، **أما بعد:**

فإن بناء الإنسان والأخذ بيده إلى درجات الكمال والنقاء ، والارتقاء به إلى منازل السمو والرفعة، وانتشاله من مستنقعات الفساد والضياع، مما اهتمت به الشريعة، وحضت عليه السنة الشريفة، وهو أمر يشغل بال المربين ويقلق الناصحين العاملين، وقد يستعصي في كثير من الأحيان على الدعاة المخلصين. والسبب في كل ذلك أنه بصلاح هذا الإنسان تصلح- بإذن الله- الأرض ويعمر الكون؛ لأن الوحي يوجه

طاقاته حينئذٍ إلى ما فيه صلاحه وصلاح مجتمعه، فيكون عضوًا نافعًا في هذا الكون العامر، وبفساده وانحرافه تتوجه هذه الطاقات، وتلك الملكات إلى الفساد والضياع، والعلاج هو في ضبط هذه القدرات، وبنائه بناءً سويًا، وتوجيه هذه الملكات نحو الصلاح والمسلك الأقوم، ولا يكون هذا الأمر بإذن الله، إلا بترسم خطى المصطفى ﷺ في منهجه في بناء الإنسان، وصلاح المجتمع، وكذا في التربية والتوجيه واقتفاء منهج القرآن في الإصلاح والتعليم، وهذا المنهج الرباني يتميز على غيره من المناهج البشرية بجملة من المميزات وينفرد عما سواه بكثير من الإيجابيات .

ولما جاء الإسلام وبزغ فجره رفرفت معالم العدل، ووحد الناس، وذابت الفوارق العصبية، والضغائن القبلية، وصار المسلمون سواسية لا فرق بينهم ولا تفاضل إلا بميزان التقوى قال – تعالى-: ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ**﴾[(١)]. وقد بين النبيُّ ﷺ هذا الأمر وجلَّاه؛ ففي صحيح البخاري، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سئل رسول الله ﷺ : أيُّ الناس أكرم؟ قال: «**أَكْرَمُهُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاهُم**» الحديث[(٢)].

وعليه فقد عُنِي الإسلام بالإنسان الفرد عناية لا مثيل لها؛ بغية أن يهيئه؛ ليكون الأساس الأول في بناء المجتمع، وبرزت هذه العناية الإلهية منذ الخلق والتكوين، حين خلقه الله – تعالى- بيديه ونفخ فيه من روحه ومنحه العقل والحواس، فبان بهذا أنه مخلوق كريم على الله – تعالى-، ثم تبعته العناية الإلهية حين قضى الله – تعالى-، أن يكون خليفة في الأرض معمِّرا لها، وقد تُوِّجت هذه العناية بشريعة الإسلام، وبما تضمنته من هدايات وتوجيهات تخص الفرد المسلم، كادت تستغرق العهد المكي كله، ولم يغفلها العهد المدني؛ هدفت كلها إلى بناء شخصيةٍ للفرد المسلم متزنة مستقلة؛ تجمع بين ما استودع فيها من رغبات ونزعات، وبين ما أنيط بها من مسؤوليات على

(١) سورة الحجرات، الآية (١٣).

(٢) الجامع الصحيح للبخاري (٤٦٨٩) كتاب التفسير ، باب قَوْلِهِ: {لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ}.

مستوى الفرد والجماعات، وهذا ما جعل من هذا الإنسان مخلوقًا متميزًا، وصار خليقًا لأن يصبح خليفة في الأرض، وأهلاً للقيام بواجباته تجاه نفسه وتجاه مجتمعه كما أسلفتُ.

أسباب اختيار البحث:

مما دفعني إلى تناول موضوع هذا البحث عدة أمور، ولعل من أبرزها:

١- أن السنة النبوية مورد خصيب للسمات البنائية للفرد الذي هو اللبنة الأولى في المجتمع .

٢- محاولة الوقوف على الأساليب التي اتبعها النبي ﷺ في تقويم الفرد، وبناء شخصيته، وأثرها على المجتمع.

٣- التعرف على أهم الأسس المنهجية التي بيَّنها النبي ﷺ في سبيل بناء الشخصية المسلمة.

٤- الرد على المناهج الغربية والمنحرفة التي تعصف بالإنسان، وتغري بالجانب المادي، في حين أنها تدمر الإنسان وتمسخ جوهره ونفسيته.

قالوا هم البشر الأرقى وما أكلوا ** شيئا كما أكلوا الإنسان أو شربوا !

أهمية البحث:

تنبع أهمية هذا البحث من الأمور التالية:

١- أنها تكشف عن الأهمية الكبرى للسنة النبوية؛ باعتبارها العنصر الفعال بعد القرآن الكريم في بناء الشخصية المسلمة.

٢- تشكل الدراسة إطارًا مرجعيًا؛ يمكن الاعتماد عليه في بناء أسس، ومبادئ، وأساليب وجودية، وحضارية منبعها السنة النبوية، قد تسهم بشكل رئيس في بناء الفرد والمجتمع.

أهداف البحث:

يسعى هذا البحث إلى تحقيق الأهداف التالية:

١- الكشف عن ملامح المنهج النبوي في تقويم الفرد والمجتمع؛ من أجل قيمة إنسانية تعود بالنفع عليه وعلى مجتمعه.

٢- بيان الأسس المنهجية التي يقام عليها بناء الإنسان من خلال السنة النبوية، ومعالم السيرة المحمدية.

٣- تقديم تصور مقترح؛ للاستفادة من منهج الرسول الكريم ﷺ في بناء الشخصية المسلمة؛ من خلال سنته ﷺ، وتقديمها كأحد السبل التكوينية لبناء المجتمع المسلم.

منهج البحث:

المنهج المستخدم في هذا البحث هو المنهج الاستقرائي التحليلي؛ وهو ذلك المنهج القائم على استقراء نصوص السنة النبوية المتعلقة ببناء الإنسان في السنة النبوية، مع تحليلها، وبيان ما اشتملت عليه من مضامين.

وفي سبيل تحقيق أهداف البحث، سوف أحرص على اتباع النقاط التالية:

١- عزو الآيات القرآنية إلى أماكنها؛ وذلك ببيان اسم السورة ورقم الآية.

٢- الرجوع إلى كتب التفسير؛ لتوضيح معاني نصوص القرآن الكريم المحتاج إليها.

٣- تخريج الأحاديث النبوية من أمهات كتب الحديث، مع بيان درجة الحديث والحكم عليه صحة وضعفًا إذا كانت روايته من غير الصحيحين.

٤- تخريج الآثار الواردة عن الصحابة والتابعين من كتب الآثار.

٥- نسبة الأقوال المنقولة إلى قائليها، وتوثيقها من المصادر المعتمدة.

٦- نقل آراء العلماء من واقع كتبهم مباشرة من غير وساطة.

٧- التزام الأمانة العلمية في نقل المعلومات والأقوال والأدلة من المصادر والمراجع المعتمدة في كل فن.

٨- عمل الفهارس العلمية اللازمة للبحث.

خطة البحث:

يتكون هذا البحث من: مقدمة، وأربعة مباحث، وخاتمة، وذلك على النحو التالي:

المقدمة: فيها بيان لأهمية الموضوع، وأسباب اختياره، ومنهج البحث وخطته.

المبحث الأول: أسس بناء الإنسان في السنة النبوية.

المبحث الثاني: منهج السنة النبوية في بناء الإنسان.

المبحث الثالث: منهج السنة النبوية في بناء المجتمع المسلم.

المبحث الرابع: سمات بناء الإنسان وأثره في المجتمع بين الإسلام والحضارة الغربية.

خاتمة البحث: وفيها: أهم نتائج البحث وتوصياته.

فهرس أهم المصادر والمراجع

فهرس الموضوعات

والله الموفق

المبحث الأول
أسس بناء الإنسان في السنة النبوية

إن المتأمل في أسس ووسائل بناء الإنسان في السنة النبوية، وما أحيط به من عناية وتهيئة، يدرك أنه أهل لأن يكون الأساس الأول في بناء المجتمع، باعتباره اللبنة الأولى في الأسرة، تلك الأسرة التي تؤلف مع مثيلاتها، المجتمع الرباني، والتي يؤدي مهمته الاستخلافية وفق ما حددته معالم الشريعة المحمدية له، وعليه فقد أولت السنة النبوية عناية فائقة لا مثيل لها بالإنسان الفرد؛ ليكون اللبنة الأولى، والأساس الأمثل في بناء المجتمع، وقد تبلورت هذه العناية الإلهية منذ الخلق والتكوين حين خلقه الله – تعالى– بيديه ونفخ فيه من روحه ومنحه العقل والحواس، فبان بهذا أنه مخلوق كريم على الله ثم تبعته العناية الإلهية حين قضى الله – تعالى–، أن يكون خليفة في الأرض، وقد تُوِّجت هذه العناية بشريعة الإسلام، وبما تضمنته من هدايات وتوجيهات تخص الفرد المسلم كادت تستغرق العهد المكي كله، ولم يغفلها العهد المدني، هدفت كلها إلى بناء شخصية للفرد المسلم متزنة مستقلة، تجمع بين ما استودع فيها من رغبات ونزعات، وبين ما أنيط بها من مسؤوليات على مستوى الفرد والجماعات، وهذا ما جعل من هذا الإنسان مخلوقًا متميزًا، وصار خليقًا؛ لأن يصبح خليفة في الأرض، وأهلاً للقيام بواجباته تجاه نفسه ومجتمعه؛ إذ قال الله – تعالى–: ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾[1]. أخبر الله ﷻ هنا أنه قبل تكوين آدم أنه إنما خلقه للأرض، وأنه

(١) سورة البقرة، الآية (٣٠).

لا يتركه في الجنة حتى ينقله عنها إليها، وإنما كان تناوله من الشجرة سببًا لوقوعه إلى الأرض التي خلق لها، وللكون فيها خليفة، وواليا على من فيها(١).

وعليه فثمة مرتكزات منهجية وقواعد عملية اتبعها النبيُّ ﷺ في بناء الفرد المسلم، وقد تنوعت هذه المرتكزات في نواحٍ شتَّى من هيكل البناء الإنساني؛ سواء كانت في الجانب المادي أم الجانب الروحي، وعالجتها السنة النبوية، وجعلتها منجزًا قائمًا بذاته، قيّمًا ببناء الإنسان الحضاري، ويمكن أن أسميها:

مرتكزات التأثير النبوي في بناء الشخصية المسلمة: لما كان التأثير يتم بمقدار عظمة المؤثر ظهر تأثير السنة النبوية في بناء الإنسان وشخصيته ظهورًا قويًّا وكاملاً، قد ظهرت آثاره في كثير من النواحي المتشعبة، وعليه فيصعب علينا حصر جميع جوانب التأثير في بناء شخصية الإنسان واتزانها واعتدالها؛ لذا سأقتصر على بعض الجوانب والتي على أساسها بان أن الاشتغال بفهم السنة النبوية، والتفقه فيها يرقق إحساس الإنسان ويقوي شعوره، وينمي فيه حب الآخرين؛ بحيث يجعله يتألم لألمهم ويفرح لفرحهم، ويسعد لسعادتهم، وأمَّا هذه المرتكزات، فهي:

١- منها أن القرآن الكريم والسنة النبوية في التعبير عن هذا الإحساس البنَّاء جعلت قتل الرجل لغيره قتلاً لنفسه، وجعلت إخراج الرجل من داره إخراجًا لنفسه، وجعلت ظن السوء بغيره ظنًّا بنفسه، وجعل لمز المرء غيره لمزًا لنفسه، وجعل السلام على غيره سلامًا على نفسه، وكل ذلك أراده القرآن وأرادته السنة النبوية، وجاء ذلك في تعبيراتهما؛ فقال الله - تعالى- في سياق أخبار بني إسرائيل: ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ * ثُمَّ أَنتُمْ هَؤُلاءِ تَقْتُلُونَ**

---

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة، ط١، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م، (٤٩١/١).

﴿أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾[١]. فجعل الله ﷻ دم كل فرد من أفرادهم كأنه دم الآخر عينه، حتى إذا سفكه كان كأنه بخع نفسه وانتحر ذاته، وفي هذا يقول الإمام القرطبي: «ولما كانت ملتهم واحدة وأمرهم واحدًا وكانوا كالشخص الواحد جعل قتل بعضهم بعضًا وإخراج بعضهم بعضًا قتلاً لأنفسهم ونفيًا لها»[٢]. وأمَّا السنة النبوية فقد صحَّ عن النبي ﷺ قوله من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنَّه قال: «**لاَ تُقْتَلُ نَفْسٌ ظُلْمًا، إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْ دَمِهَا، لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ القَتْلَ**»[٣]. فهذا نهي صريح عن عدم إهدار النفس وقتلها، وأنَّ من قتل نفسًا واحدةً فكأنما قتل الناس جميعًا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعًا.

٢- وكذا من أهم ما يثمره الاشتغال بالتفقه في السنة النبوية وعلومها وشروحها وفهمها-الوحدة بين جميع المسلمين: وحدة في الإحساس والشعور، ووحدة في الوجدان والتفكير، ووحدة في السلوك والعمل، فتتقارب النفوس، وتستقيم وتتحد نوازعها

---

(١) سورة البقرة، الآيتان (٨٤، ٨٥).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ، ١٩٦٤م، (١٨/٢).

(٣) متفق عليه؛ الجامع الصحيح، للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن بردزبه الجعفي البخاري، دار الشعب، القاهرة، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م، كتاب: الديات، باب: قول الله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَحْيَاهَا**﴾ (المائدة/٣٢)، رقم الحديث (٦٨٦٧)، (٣/٩)، وصحيح مسلم، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج، تحقيق: محمد فؤاد بعد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت، كتاب: القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب: إثم من سنَّ القتل، رقم الحديث (١٦٧٧)، (١٣٠٣/٣).

وقال الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي في شرحه لهذا الحديث: «هذا الحديث من قواعد الإسلام وهو أن كل من ابتدع شيئا من الشر كان عليه مثل وزر كل من اقتدى به في ذلك فعمل مثل عمله إلى يوم القيامة ومثله من ابتدع شيئا من الخير كان له مثل أجر من يعمل به إلى يوم القيامة وهو موافق للحديث الصحيح: «**من سن سنة حسنة ومن سن سنة سيئة**»، وللحديث الصحيح «**من دل على خير فله مثل أجر فاعله**»، وللحديث الصحيح «**ما من داع يدعو إلى هدى وما من داع يدعو إلى ضلالة**».

ومشاربها وتصوراتها، وفي ذلك يقول النبي ﷺ من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، كَمَثَلِ الجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّى**»(١). وهذه الاستقامة التي مبناها الوحدة بين أفراد المجتمع الإسلامي مرجعها أن صدورها عن أصل واحد ونبع واحد؛ وهو التفقه في مصدري الشريعة القرآن الكريم والسنة النبوية وعلومهما فيزدادون صلةً وودًا ومحبةً.

٣- أمَّا مرتكز الانتماء لأمة الإسلام فيتجلى من خلال ترسيخ روح المعاملة الحسنة والعمل في القضاء على سخيمة الصدور، فقد رغَّب النبيُّ ﷺ- وفق ما اتفق مع سنة القرآن في تهذيب الإنسان- المسلمين في قبول الدِّية، وجعل ذلك من باب العفو الذي حُمد صاحبه في القرآن، فعن مجاهد قال: سمعت ابن عباس- رضي الله عنهما-، يقول: «كان في بني إسرائيل القصاص، ولم تكن فيهم الدية». فقال الله - تعالى- لهذه الأمة: ﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمُ القِصَاصُ فِي القَتْلَى الحُرُّ بِالحُرِّ وَالعَبْدُ بِالعَبْدِ، وَالأُنْثَى بِالأُنْثَى، فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ**﴾(٢). «فالعفو أن يقبل الدية في العمد». ﴿**فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ**﴾(٣) «يتبع بالمعروف ويؤدي بإحسان. ﴿**ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ**﴾(٤) مما كتب على من كان قبلكم. ﴿**فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾(٥) قتل بعد قبول الدية»(٦).

---

(١) متفق عليه؛ الجامع الصحيح، للبخاري، كتاب: الأدب، باب: رحمة الناس والبهائم، رقم الحديث (٦٠١١)، (١٢/٨)، والمسند الصحيح، لمسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، رقم الحديث (٢٥٨٦)، (١٩٩٩/٤)، واللفظ للبخاري.

(٢) سورة البقرة، الآية (١٧٨).

(٣) سورة البقرة، الآية (١٧٨).

(٤) سورة البقرة، الآية (١٧٨).

(٥) سورة البقرة، الآية (١٧٨).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: تفسير القرآن، باب: ﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمُ القِصَاصُ فِي القَتْلَى الحُرُّ بِالحُرِّ وَالعَبْدُ بِالعَبْدِ وَالأُنْثَى بِالأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ**﴾ (البقرة/١٧٨)، رقم الحديث (٤٤٩٨).

وبقدر ما يتوفر للإنسان من معرفة بنفسه وبمحيطه بقدر ما يدرك أن مصدر أمنه كامن في نفسه، وفي مقدرته على السيطرة على نزعاتها والتحكم فيها، فخروج النفس على التعاليم التي يحددها الدين للفرد والمجتمع يشكل انحرافًا نحو العدوان والهدم. ولذلك فقد أملت الفطرة كما أملت الحياة الاجتماعية ضوابط نفسية على الإنسان، إن لم يخضع لها شكَّل خطرًا على نفسه وعلى غيره؛ لذلك فقد اتجهت تربية الإنسان البدائي في أول الأمر إلى السيطرة على نفسه، وهذا ما لاحظه علماء الاجتماع إذ قالوا إن الإنسان البدائي أتقن السيطرة على نفسه قبل إتقانه سيطرته على غيره، فالنفس الإنسانية مجبولة على قابلية الخير والشر.

المبحث الثاني
منهج السنة النبوية في بناء الإنسان

أولا: منهج السنة النبوية في بناء الروح الإنسانية:

الإنسان مخلوق من جسم وروح، خلقه الله فأبدع خلقه وسواه فعدل خلقه وجعله في أحسن تقويم، وصوره على أحسن صورة، وليس المقصود من خلقه جمال جسمه وهيئته ولا حسن سمته وخلقته إنما الجمال جمال الروح وصفاء القلب، وقد أشار النبيُّ ﷺ إلى تلك الناحية، وهذه الحقيقة المؤمنة؛ فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنَّه قال: «**إِنَّ اللهَ ﷻ لاَ يَنْظُرُ إلى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إلى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ**»(١).

وعليه فعند الرغبة في تربية النفس البشرية لا بد من النظر إلى جانبه الروحي، وإعطائه حقه وما يستحقه من رعاية وعناية واهتمام، وإلا فإن أي جهد في هذا المجال بدون التوازن بين تربية الروح والجسد هو جهد خاسر وهباء منثور، بل ربما أدَّى إلى نتائج عكسية وعواقب وخيمة تدور بين الغلو والجفاء والتهاون والتساهل. وينقل بعض الباحثين إنكار بعض الفلاسفة للتربية الروحية ثم يفند آراءهم فيقول: «ولقد تنكر بعض الفلاسفة والباحثين لهذه التربية –التربية الروحية– في عصور خلت ولكن كل من تحرر من هوى نفسه ومن التأثر بالعادات والموروثات التي جعلت بعض الناس ينأون عن الدين، وكل من استقام تفكيره، وتحرى الحقيقة في بحثه فإنه لا يجد لهذه التربية بديلاً»(٢).

وقد حدَّد العلامة ابن قيم الجوزية– رحمه الله– مفهوم الروح فقال: «إنها جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس، وهو جسم نوراني علوي خفيف حي متحرك ينفذ

(١) المسند، للإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرناءوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م، رقم الحديث (٧٨٢٨)، (٢٢٨/١٣)، والمسند الصحيح، لمسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم ظلم المسلم، وخذله، واحتقاره ودمه، وعرضه، وماله، رقم الحديث (٢٥٦٤)، (١٩٨٧/٤).

(٢) فلسفة التربية في القرآن الكريم، د.عمر أحمد عمر، دار المكتبي. دمشق، (ص١٦٦).

في جوهر الأعضاء ويسري فيها سريان الدهن في الزيتون والنار في الفحم، فما دامت هذه الأعضاء صالحة لقبول الآثار الفائضة عليها من هذا الجسم اللطيف بقي ذلك الجسم اللطيف مشابكًا لهذه الأعضاء أفادها هذه الآثار من الحس والحركة الإرادية، وإذا فسدت هذه الأعضاء بسبب استيلاء الأخلاط الغليظة عليها وخرجت عن قبول تلك الآثار فارق الروح البدن وانفصل إلى عالم الروح»[(١)].

والذي أرنو إليه وأهدف من بناء الإنسان وتربيته تربية روحية هو ما يؤدي إلى تهذيب النفس وسمو الإنسان والتحلي بالفضائل، والبعد عن الرذائل، ويكون ذلك بالعقيدة والعبادات والأخلاق الحميدة؛ وهي أرفع أقسام التربية وأكثرها أهمية. وبقدر حصول الإنسان على التربية في هذا المجال يرتفع شأنه وتسمو نفسه. والنظم المادية التي تهمل هذه التربية تحط من شأن الإنسان وتخفض من قدره؛ لأن الإنسان ما هو إلا قبضة من طين، ونفخة من روح الله ومن عناصر الطين يتركب جسده، والجسد لا يحيا دون الطعام والشراب، وهما يستخرجان من الطين، فالماء الذي نشربه يتفجر من ينابيع الأرض ويجري فوقها، أو ينزل من السماء ويختلط بترابها، والطعام الذي نتناوله بعضه نحصل عليه من النباتات التي تستمد عناصرها من الطين، وبعضه الآخر نحصل عليه من الحيوانات وهي تتغذى بالنباتات وتكون منه لحومها وألبانها، وكذلك الروح لا تستغني عن الغذاء، وغذاء الروح هو المناسب لطبعها والملائم لجوهرها، ولا يعلم ما يناسبها ويلائمها حق العلم إلا الله- سبحانه وتعالى- ورسوله ﷺ؛ ولذلك لم تترك تتخبط في هذه الأرض وتضل في أرجائها؛ وإنما أرشدها إلى ما يهديه السبيل ويجنبه الغواية والضلال؛ قال الله – تعالى-: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ

(١) الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، لشمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: إبراهيم رمضان، دار الفكر العربي، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م، (ص٢٥٦).

﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى﴾[1]. وهذا ما يؤكده رسول الله ﷺ وهو يرسّخ قيمة أخلاقية من قيم الإسلام فيربي عليها الجماعة المسلمة ويوصيهم بالتدريب والتمرس عليها والتحذير من الوقوع في نقيضها، ألا وهي فضيلة الصدق ونقيضها رذيلة الكذب فيقول ﷺ: «**عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا**»[2].

والسنة النبوية خلال تربيتها للروح ترتكز على دعائم راسخة، وتقوم على أسس متينة، وهذه الدعائم وتلك الأسس هما اللذان يمثلان منهج السنة النبوية في التربية الروحية؛ فمن هذه الدعائم والأسس:

العبادات: فالعبادات في الإسلام من أعظم وسائل التربية الروحية، ولها الأثر الكبير في بناء الإنسان وتهذيبه؛ وذلك لأن العبادة صلة بين العبد وربه، وهي التي تجعل هذا الكائن الضعيف والمخلوق المحتاج على صلة بخالقه وموجده ورازقه، والذي بيده مقاليد الأمور، وإليه ترجع الأشياء وهذا يولّد في المرء شعورًا بالراحة والاطمئنان والأمن والأمان، فإذا ارتاحت نفسه وهدأت روحه انطلق بجسمه وعقله يبني هذا الكون ويسهم في إعمار الأرض، محاطًا برعاية الله مع سمو نفسه وراحة باله عما يشغله، وهذه العبادات غذاء روحي للمرء في دقائقه وساعاته وأيامه وسنواته؛ ومع كل ذلك لا ينسى

---

(١) سورة طه، الآيات (١٢٣- ١٢٦).

(٢) **متفق عليه**؛ الجامع الصحيح، للبخاري، كتاب: الأدب، باب: قول الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾ (التوبة/١١٩) وَمَا يُنْهَى عَنِ الكَذِبِ، رقم الحديث (٦٠٩٤)، (٨/٣٠)، والمسند الصحيح، لمسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: قبح الكذب وحسن الصدق وفضله، رقم الحديث (٢٦٠٧)، (٤/٢٠١٢)، عن عبد الله بن مسعود ﷺ، واللفظ لمسلم.

المؤمن نصيبه من الدنيا ومتاعها الحلال؛ لأن ذلك مما يساعد على طاعة الله وعبادته؛ فقد صحَّ عن النبيّ ﷺ أنَّه قال: «**حُبِّبَ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا: النِّسَاءُ، وَالطِّيبُ، وَجُعِلَ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلاَةِ**»(١).

والعبادات في الإسلام: عملية وقلبية وقولية؛ فمن العبادات العملية بل أعظمها وهي شاملة للعبادة القلبية والقولية: **الصلاة**، والصلاة عبادة تحقق دوام ذكر الله ودوام الاتصال به، وتمثل تمام الطاعة والاستسلام لله ﷻ، والتجرد له وحده لا شريك له، وتربي النفس، وتهذب الروح، وتنير القلب؛ بما تغرس فيه من جلال الله وعظمته، وتحلي المرء وتجمله بمكارم الأخلاق، وقد صحَّ عن النبيّ ﷺ قوله: «**قُمْ يَا بِلالُ، فَأَرِحْنَا بِالصَّلاَةِ**»(٢). وجعل موضعها بناء المسجد، الذي هو كمحضن اجتماعي وديني وتربوي، يصقل الشخصية، ويغذي الطاقات، فجعل للبناء النفسي مبنى يأوون إليه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: "وكانت مواضع الأئمة ومجامع الأمة هي المساجد فإن النبي – صلى الله عليه وسلم – أسس مسجده المبارك على التقوى: ففيه الصلاة والقراءة والذكر، وتعليم العلم والخطب، وفيه السياسة وعقد الألوية والرايات،

(١) المسند، للإمام أحمد بن حنبل، رقم الحديث (١٢٢٩٢)، (٣٠٥/١٩)، والسنن الكبرى، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: د.عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ، ١٩٩١م، كتاب: عشرة النساء، باب: حب النساء، رقم الحديث (٨٨٨٧)، (٢٨٠/٥)، والمستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بابن البيّع، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ، ١٩٩٠م، رقم الحديث (٢٦٧٦)، (١٧٤/٢)، وقال: «صحيح على شرط مسلم». وقال شعيب الأرناءوط: «حسن».

(٢) المسند، للإمام أحمد بن حنبل، رقم الحديث (١٢٢٩٢)، (٣٠٥/١٩)، والسنن، لأبي داود سليمان بن الأشعث، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، د.ت، كتاب: الأدب، باب: في صلاة العتمة، رقم الحديث (٤٩٨٦)، (٢٩٦/٤)، من حديث عبد الله بن محمد ابن الحنفية عن رجل من الأنصار ﷺ. وقال شعيب الأرناءوط: «رجاله ثقات».

وتأمير الأمراء وتعريف العرفاء، وفيه يجتمع المسلمون عنده لما أهمهم من أمر دينهم ودنياهم" (١).

ومن العبادات العملية التي تربي الروح وتسمو بها، وأكدها القرآن الكريم والسنة النبوية، وتحدثا عنها: **الصوم**، ويعدُّ الصوم مدرسة يتربى الإنسان فيها على مجاهدة الهوى والامتناع عن الشهوات والتزام الطاعات، وحرمان النفس من الطعام والشراب وبذل المعروف وكثرة التصدق والجود؛ لتعويدها على إنكار الذات، وحب الآخرين مما يزيد في ترابط أبناء المجتمع ويقوي أواصرهم، وفي هذه المدرسة يتعلم المسلم الصبر على الحرمان فلا يستذله، وعلى الإقلال فلا يبذل ماء وجهه بسببه، وعلى تغير المألوفات من العادات فلا يكون أسيرًا لها وعلى التخلص من الأخلاق الجاهلية والطباع الذميمة(٢)، وفي الصحيح عن أبي هريرة عن النبيّ ﷺ أنَّه قال: «**مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ**»(٣).

والصوم هو العبادة التي لا يدخلها الرياء؛ لأنه لا يعلم حقيقة المرء هل هو صائم أو لا إلا علام الغيوب، وهذا ما يجعل المؤمن نقي السريرة مخلصًا في عمله لا يظهر خلاف ما فيه؛ لذا قال النبيُّ ﷺ: «**قَالَ اللَّهُ: كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ، إِلَّا الصِّيَامَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ، وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلاَ يَرْفُثْ وَلاَ يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ**»(٤).

---

(١) الفتاوى الكبرى (١١٨/٥) .

(٢) التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام، د.أكرم ضياء العمري، مركز الدراسات والإعلام، دار إشبيليا، الرياض، (ص٣٣).

(٣) المسند، للإمام أحمد بن حنبل، رقم الحديث (٩٨٩٣)، (٥٢١/١٥)، والجامع الصحيح، للبخاري، كتاب: الصوم، باب: من لم يدع قول الزور وبالعمل به في الصوم، رقم الحديث (١٩٠٣)، (٣٣/٣)، والسنن، لأبي داود، كتاب: الصوم، باب: الغيبة للصائم، رقم الحديث (٢٣٦٢)، (٣٠٧/٢).

(٤) متفق عليه؛ الجامع الصحيح، للبخاري، كتاب: الصوم، باب: هل يقول إني صائم إذا شُتم، رقم الحديث (١٩٠٤)، (٣٤/٣)، والمسند الصحيح، لمسلم، كتاب: الصيام، باب: فضل الصيام، رقم الحديث (١١٥١)، (٨٠٦/٢).

وهكذا يربي الصوم النفوس ويهذب الأخلاق ويسمو بالأرواح. وكذا سائر العبادات المتمثلة في أركان الإسلام الخمس.

ومن العبادات القلبية التي تربي الروح وأكدتها السنة النبوية، التوكل على الله -تعالى- وتسليم الأمور إليه، والتطلع إلى ما عنده وقطع العلائق عمن سواه، ولا يعني ذلك إغفال الأسباب والأخذ بها بل إن عمل الأسباب والأخذ بها من التوكل على الله ولكن لا يكون الاعتماد على الأسباب؛ قال رسول الله ﷺ: «**لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصًا، وَتَرُوحُ بِطَانًا**»(١). ويقول الإمام ابن رجب الحنبلي في شرحه لهذا الحديث عن التوكل: «وحقيقة التوكل هو صدق اعتماد القلب على الله ﷻ في استجلاب المصالح ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة كلها وتوكيل الأمور إليه، وتحقيق الإيمان بأنه لا يعطي ولا يمنع، ولا يضر ولا ينفع سواه»(٢).

الرضا بالقضاء والقدر والتسليم للخالق- جل وعلا-: الرضا بقضاء الله وقدره نابع عن الإيمان بالله- جل وعلا- والرضا، والإيمان بالقضاء والقدر أحد أركان الإيمان الستة التي لا يتم إيمان المرء إلا بها، وقد ثبت هذا في الصحيح من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الحديث المشهور بحديث جبريل، وقد سأل النبيَّ ﷺ فقال: ما الإيمان؟ فأجاب ﷺ فقال: «**الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ،..**»(٣).

---

(١) المسند، للإمام أحمد بن حنبل، رقم الحديث (٢٠٥)، (٣٣٢/١)، السنن، لأبي عبد الله محمد بن يزيد، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية: فيصل عيسى البابي الحلبي، القاهرة، د.ت، كتاب: الزهد، باب: التوكيل واليقين، رقم الحديث (٤١٦٤)، (١٣٩٤/٢). قال شعيب الأناءوط: «إسناده قوي؛ رجاله رجال الصحيحين».

(٢) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم، لزين الدين أحمد بن محمد بن رجب، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٧، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م، (٤٩٧/٢).

(٣) المسند، للإمام أحمد بن حنبل، (١٨٣)، (٣١٥/١)، والمسند الصحيح، لمسلم، كتاب: الإيمان، باب: معرفة الإيمان، والإسلام، والقدر وعلامة الساعة، رقم الحديث (٩)، (٣٩/١)، والسنن، لأبي داود، كتاب: السنة، باب: في القدر، رقم الحديث (٤٦٩٥)، (٢٢٣/٤).

وهذا الحديث يبين أن الإيمان بالغيب أصل من أصول الإيمان، والذي من شأنها أن تربي المرء على صحة الاعتقاد وانقياد لخالقه ﷻ.

والمرء ليس له خيار إلا الإيمان بالقضاء، والقدر ليطمئن ويرتاح لأن الله قد قدر الأمور وقضاها وهو سبحانه كما أخبر عن نفسه فقال: ﴿لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾[1]، فكل شيء بقضاء الله وقدره وحكمته ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[2].

تنمية شعور المراقبة لله- جل وعلا-: فمن الضروري لبناء شخصية الإنسان المؤمن أن يراقب الله – تعالى- في كل ما يقوم به من قول وعمل وصمت وترك، ولا ترقى روح المؤمن وتشف وتصفو من الأكدار إلا بأن تراقب الله كما يراقبها- سبحانه وتعالى-؛ إنها إن تفعل فقد مارست الإحسان بشقيه اللذين أوضحتهما السنة النبوية المطهرة في الحديث الشريف الذي تقدم قريبًا، ورواه الإمام مسلم بسنده عن عمر بن الخطاب ﷺ فقال: بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب.. إلى أن قال: قال- أي جبريل-: أخبرني عن الإحسان قال: «**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاك**»[3].

وتربية الروح على مراقبة الله – تعالى- تحمل الإنسان على الإحسان في كل عمل يقوم به، ولكل إنسان يتعامل معه لأن الله – تعالى- كتب الإحسان على كل شيء والمرء يراقب ربه ويلتمس رضاه فيما يأتي ويذر[4].

(١) سورة الأنبياء، الآية (٢٣).

(٢) سورة القمر، الآية (٤٩).

(٣) جزء من حديث جبريل عليه السلام، والذي تقدم تخريجه في الحاشية السابقة.

(٤) التربية الروحية في الإسلام، د.علي عبد الحليم محمود، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، (ص٢٠٥).

ثانيا: منهج السنة النبوية في بناء العقل المسلم:

العقل نوعان:

الأول: غريزي: وهو ما يكون موجودًا مع المولود، كعقله للارتضاع، وأكل الطعام، وضحكه مما يسره، وبكائه مما لا يهواه، وامتناعه مما يضره، كل هذا يكون بالعقل الغريزي، قال الله – تعالى–: ﴿الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾[١]؛ أي: هدى كل مخلوق إلى ما خلقه له، وهذه الهداية الكاملة المشاهدة في جميع المخلوقات؛ فكل مخلوق تجده يسعى لما خلق له من المنافع، وفي دفع المضار عنه، حتى إن الله أعطى الحيوان البهيم من العقل ما يكفي لذلك[٢].

والثاني: اكتسابي: حيث يكتسب المولود زيادة في العقل مع مرور الأيام حتى يبلغ أشده ثم يبدأ بالنقص إلى النقطة التي بدأ منها حيث يعود حال هرمه إلى حاله الأولى يوم أن كان طفلاً صغيرًا وتلك الزيادة التي تحصل للمولود عقل اكتسابي فمع العلم يكون كل يوم في زيادة ومنتهى تعلم العلم منتهى العمر[٣].

والعقل شرط في معرفة العلوم وكمال وصلاح الأعمال، وبه يكون العلم والعمل ولكنه ليس مستقلاً بذلك؛ لكونه غريزة في النفس وقوة فيها فهو– كما مر معنا –بمنزلة قوة البصر التي في العين فإن اتصل به نور الإيمان والقرآن كان كنور العين إذا اتصل به نور الشمس والنار، وإن انفرد بنفسه لم يبصر الأمور التي يعجز وحده عن دركها. ولقد أولى القرآن الكريم والسنة المطهرة العقل العناية الكاملة فربياه التربية السليمة التي تدفعه

---

(١) سورة طه، الآية (٥٠).

(٢) ينظر: محاسن التأويل، لمحمد جمال الدين بن محمد القاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ، (١٢٨/٧)، وتفسير القرآن الحكيم: تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا القلموني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط١، ١٤١١هـ، ١٩٩٠م، (٤٨٠/٧).

(٣) ينظر: التعريفات، لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م، (ص١٥٢).

بإذن الله إلى أن يكون أداة بناء ونماء وفائدة ونفع ولا يكون أداة هدم وبلاء وفساد. ومن أبرز المظاهر التي قام عليها بناء العقل في السنة النبوية:

قيام الدعوة إلى الإيمان على الإقناع العقلي: فلم يطلب الإسلام من الإنسان أن يعتقد بدون تفكير وتعقل، بل دعاه إلى إعمال ذهنه وتشغيل طاقته العقلية في سبيل وصولها إلى أمور مقنعة في شؤون حياتها وقد وجه الإسلام هذه الطاقة بتوجيهات عدة سواء في الدعوة إلى التفكر والتدبر كقوله – تعالى–: ﴿**كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾(١)، أو توجيه للمخلوقات؛ كقوله – تعالى–: ﴿**الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**﴾(٢)، أو توجيهه إلى الطاقة العقلية لمراقبة نظام الحياة الاجتماعية مراقبة توجيه وإصلاح لتسير الأمور على منهج صحيح؛ كقوله – تعالى–: ﴿**وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾(٣)، وقد جاءت السنة النبوية في إطار هذا كله؛ فقد صحَّ عن النبيّ ﷺ قوله: «**كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**» قال: – وحسبت أن قد قال – «**وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**»(٤).

---

(١) سورة ص، الآية (٢٩).

(٢) سورة آل عمران، الآية (١٩١).

(٣) سورة آل عمران، الآية (١٠٤).

(٤) متفق عليه؛ الجامع الصحيح، للبخاري، كتاب: في الاستقراض وأداء الديون والحجر والتفليس، باب: العبد راع في مال سيده، ولا يعمل إلا بإذنه، رقم الحديث (٢٤٠٩)، (١٥٧/٣)، والمسند الصحيح، لمسلم، كتاب: الإمارة، باب: فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم، رقم الحديث (١٨٢٩)، (١٤٥٩/٣).

بناء علاقة العبد بربه: حرَص النبيُّ ﷺ على بيان أن بناء قيام العلاقة بين العبد وربه؛ إنما تقوم على الوضوح العقلي في العقيدة والشريعة، وعدم تقييده له بعد اقتناعه وإيمانه بالرهبانية، فلا رهبانية في الإسلام لما فيها من تقييد للعقل، فضلاً عن الغرائز والحواس ولما فيها من تعطيل للطاقة والقوى البشرية، والمخالفة لنظام الحياة مخالفة تقضي بالفناء على البشرية فيما لو اعتنق الناس الترهب والانعزال دينًا؛ فعن سعد بن أبي وقاص قال: لما كان من أمر عثمان بن مظعون الذي كان من ترك النساء، بعث إليه رسول الله ﷺ فقال: «**يَا عُثْمَانُ، إِنِّ لَمْ أُومَرْ بِالرَّهْبَانِيَّةِ، أَرَغِبْتَ عَنْ سُنَّتِي؟**». قال: لا يا رسول الله. قَالَ: «**إِنَّ مِنْ سُنَّتِي أَنْ أُصَلِّيَ وَأَنَامَ، وَأَصُومَ وَأَطْعَمَ، وَأَنْكِحَ وَأُطَلِّقَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي، يَا عُثْمَانُ، إِنَّ لأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنفسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا**». قال سعد بن أبي وقاص: فوالله لقد كان أجمع رجال من المسلمين على أن رسول الله ﷺ إن هو أقر عثمان على ما هو عليه أن نختصي فنتبتل(١).

فانظر يا رعاك الله إلى أي مدى كان الاتباع له ﷺ، وانظر كيف أنَّه نهى عن الرهبانية، وأن من تمام الدين أن يحيا كما فطره الله – تعالى–، فللرجل شأن في النساء، كما هو شأنه في الطعام والشراب، فكان الأمر منه ﷺ أن قوَّم تلك النفس الجامحة إلى نكرانها والعمل على إماتتها بإماتة ما أحلَّه الله لها، وما يتفق مع فطرتها التي فطرها الله عليها.

الحثُّ على العلم والتعلم: فمن مظاهر تكريم الإسلام للعقل أمره بالتعلم والحث على ذلك. فكما أن نمو الجسم بالطعام فإن نمو العقل بالعلم؛ إذ بهذا يكون الإيمان عن إدراك أوسع، وفهم أعمق، واقتناع أتم، بل قرن– سبحانه– ذكر أولي العلم بذكره

(١) السنن، لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الأولى، ١٤١٢هـ، ٢٠٠٠م، كتاب: النكاح، باب: النهي عن التبتل، رقم الحديث (٢٢١٥)، (١٣٨٦/٣).

ﷻ ملائكته؛ فقال- عزَّ مَن قائل-: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾(١)، وعن معاوية بن أبي سفيان- رضي الله عنهما- قال: إن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَاللَّهُ يُعْطِي، وَلَنْ تَزَالَ هَذِهِ الأُمَّةُ قَائِمَةً عَلَى أَمْرِ اللَّهِ، لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ**»(٢).

وفي الحثِّ على طلب العلم لمرضاة الله، والنهي عن طلبه للعجب ورؤية النفس، وليماري به السفهاء، ويباهي به العلماء؛ قال النبيُّ ﷺ: «**مَنْ طَلَبَ العِلْمَ لِيُجَارِيَ بِهِ العُلَمَاءَ أَوْ لِيُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ أَوْ يَصْرِفَ بِهِ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ أَدْخَلَهُ اللَّهُ النَّار**»(٣).

العقل أداة للاستنباط: ومن ذلك إسناده استنباط الأحكام فيما لا يوجد فيه نص أو سنة أو إجماع إلى الاجتهاد الذي يقوم على العقل ويتخذ منه سبيلاً لتقرير الحكم، وقد حضَّ رسول الله ﷺ على ذلك؛ فعن عمرو بن العاص أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**إِذَا حَكَمَ الحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ**»(٤).

---

(١) سورة آل عمران، الآية (١٨).

(٢) متفق عليه؛ الجامع الصحيح، للبخاري، كتاب: العلم، باب: من يرد الله به خيرًا يفقه في الدين، رقم الحديث (٧١)، (٢٧/١)، والمسند الصحيح، لمسلم، كتاب: الزكاة، باب: النهي عن المسألة، رقم الحديث (١٠٣٧)، (٧١٩/٢).

(٣) السنن، لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت، أبواب العلم، باب: ما جاء فيما يطلب بعلمه الدنيا، رقم الحديث (٢٦٥٤)، (٣٢/٥). قال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، (١٥٣/١): «صحيح لغيره».

(٤) متفق عليه؛ الجامع الصحيح، للبخاري، كتاب: الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ، رقم الحديث (٧٣٥٢)، (١٣٣/٩)، والمسند الصحيح، لمسلم، كتاب: الأقضية، باب: بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ، رقم الحديث (١٧١٦)، (١٣٤٢/٣).

وكذلك حديث معاذ بن جبل ﷺ؛ حين بعثه النبيُّ ﷺ إلى اليمن قاضيًا، وهو أصل في باب الاجتهاد؛ إذ قال له النبيُّ ﷺ: «**كَيْفَ تَصْنَعُ إِنْ عَرَضَ لَكَ قَضَاءٌ؟**». قال: أقضي بما في كتاب الله. قال: «**فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي كِتَابِ اللهِ؟**». قال: فبسنة رسول الله ﷺ. قال: «**فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟**». قال: أجتهد رأيي ولا آلو. قال: فضرب صدره ثم قال: «**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَفَّقَ رَسُولَ رَسُولِ اللَّهِ لِمَا يُرْضِي رَسُولَ اللَّهِ**»(١). فجعل من اجتهاد العقل أساسًا للحكم والقاعدة للقضاء عند فقدان النص(٢).

تكريم العقل عما يغيّبه ويفسده: الأمر بالتكريم العقل والمحافظة عليه، والنهي عن كل ما يؤثر في سيره أو يغطيه فضلاً عما يزيله، فحرَّم الله – تعالى– لذلك شرب الخمر؛ فقال– عزَّ مَن قائل–: ﴿**يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾(٣). وكذا حرَّم النبيُّ ﷺ شربها؛ فعن أبي بردة، عن أبيه، عن أبي موسى الأشعري ﷺ أن النبيَّ ﷺ بعثه إلى اليمن، فسأله عن أشربة تصنع بها فقال: «**وَمَا هِيَ؟**». قال: البِتْعُ وَالمِزْر، فقلت لأبي بردة: ما البِتعُ؟ قال: نبيذُ العسل، والمِزرُ نبيذ الشعير، فقال: «**كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ**»(٤).

---

(١) المسند، للإمام أحمد بن حنبل، رقم الحديث (٢٢٠٠٧)، (٣٣٣/١)، والسنن، لأبي داود، كتاب: الأقضية، باب: اجتهاد الرأي في القضاء، رقم الحديث (٣٥٩٢)، (٣٠٣/٣). وقال شعيب الأرناءوط: «إسناده ضعيف؛ لإبهام أصحاب معاذ وجهالة الحارث بن عمرو، لكن مال إلى القول بصحته غير واحد من المحققين من أهل العلم، منهم أبو بكر الرازي وأبو بكر بن العربي والخطيب البغدادي وابن قيم الجوزية».

(٢) ينظر: علم أصول الفقه، عبد الوهاب خلاف، مكتبة الدعوة، دار القلم، الكويت، ط٨، د.ت، (ص٥٦).

(٣) سورة المائدة، الآية (٩٠).

(٤) متفق عليه؛ الجامع الصحيح، للبخاري، كتاب: المغازي، باب: بعث أبي موسى الأشعري ومعاذ بن جبل إلى اليمن قبل حجة الوداع، رقم الحديث (٤٣٤٣)، (٢٠٤/٥)، والمسند الصحيح، لمسلم، كتاب: الأشربة، باب: بيان أن كل مسكر حمر، وأن كل خمر حرام، رقم الحديث (١٧٣٣)، (١٥٨٦/٣).

وكذا في الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه عن جابر بن عبد الله قال: إن رجلا قدم من جَيشَانَ، وجَيشانُ من اليمن، فسأل النبي ﷺ عن شراب يشربونه بأرضهم من الذرة، يقال له: الْمِزْرُ، فقال النبي ﷺ: «**أَوَ مُسْكِرٌ هُوَ؟**». قال: نعم، قال رسول الله ﷺ: «**كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ، إِنَّ عَلَى اللهِ ﷻ عَهْدًا لِمَنْ يَشْرَبُ الْمُسْكِرَ أَنْ يَسْقِيَهُ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ**» قالوا: يا رسول الله، وما طينة الخبال؟ قال: «**عَرَقُ أَهْلِ النَّارِ**»، أو «**عُصَارَةُ أَهْلِ النَّارِ**»[(١)]. فهذه العقوبة الكبيرة والتوعد الشديد لمن فرَّط في عقله، وسلبه من نفسه باحتسائه الخمر، قد أقرَّها القرآن الكريم، ونصَّ على تحريمها النبيُّ ﷺ؛ أداءً لحقِّ هذه النعمة التي امتنَّ بها الكريم المنعم- سبحانه وتعالى-.

وهكذا رأينا فيما تقدَّم معنا كيف اهتم الإسلام بالعقل وكرمه، ورفع من قدره وأعلى من شأنه؛ وذلك لأنه مناط التكليف، ولا توجد ملة أو نحلة أو مذهب أو طريقه أعطت العقل من المكانة والمنزلة كما أعطاه الإسلام وحباه به دين الملك العلام، وقد بدا ذلك معنا من سنة النبيِّ ﷺ، وأنَّه ﷺ أولاه كلَّ عناية ورعاية، حتى يتمكن الإنسان من تهذيبه بخلق النبوة.

ثالثا: منهج السنة النبوية في بناء الجسم وصحته:

جسم الإنسان هو الوعاء الذي يحفظ الروح والعقل والأحاسيس والمشاعر؛ فالمحافظة عليه والاعتناء به اعتناء بها ومحافظة عليها؛ فهذه النعم هي التي فضِّل بها الإنسان وكرم من خلالها، ولقد أولت السنة النبوية جسم الإنسان عناية كاملة ورعاية شاملة تبدأ هذه الرعاية قبل زواج المرء واختيار شريكة الحياة؛ لما في ذلك من أثر واضح على المولود، وتشمل هذه الرعاية آداب الجماع وأحكام الحمل والوضع والرضاع والحضانة والتربية والتنشئة؛ حتى يشب المرء قويًّا صحيحًا؛ ليؤدي دوره في هذه الحياة على أكمل وجه وأحسنه.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب: الأشربة، باب: بيان أن كل مسكر خمر، وأن كل خمر حرام، رقم الحديث (٢٠٠٢)، (١٥٨٧/٣).

وحينما نتحدث عن تربية الجسم، فليس المقصود عضلاته ووشائجه فحسب وحواسه وأعضاؤه فقط، وإنما المقصود تلك الطاقة الحيوية التي تنبثق من الجسم، والتي تتمثل في مشاعر النفس، وطاقة الانفعالات والحيوية، وكافة الدوافع الفطرية، طاقة الحياة الحسية، وعليه فالإسلام في تربيته للجسم وبنائه يراعي الأمرين معًا؛ فيراعي الجسم من حيث هو جسم ليصل منه إلى الغاية النفسية المرتبطة به، ثم ليوفر الطاقة الحيوية اللازمة لتحقيق أهداف الحياة وهي أهداف تشمل كل كيان الإنسان، والتوجيهات الإسلامية في هذا المضمار كثيرة والتي يقصد بها رياضة الجسم وتربيته وتقويته لتحمل المشاق وبذل الجهد، كما يقصد بها قوة الأخذ بنصيب الإنسان من الحياة. والاستمتاع بها، فالجسد الهزيل المريض لا يأخذ نصيبه من المتاع فوق أنه لا يوصل شحنة الحياة إلى النفس توصيلاً صحيحًا تقوم عن طريقه بمهمتها المفروضة، إن جهاد الحياة ومكابدة مشاقها يحتاج إلى جسم قوي متين البنيان، وقد أشار النبيُّ ﷺ إلى المعنى؛ فعن أبي هريرة رضي الله – تعالى– عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ**»(١). وعليه فالإنسان يولد صغيرًا ضعيفًا ثم ينمو ويقوى شيئًا فشيئًا؛ حتى يبلغ أشده، ثم بعد ذلك تميل أعضاؤه إلى الضمور، وقوته إلى الخور والضعف؛ حتى تنتهي به حياته على الأرض؛ قال الله ﷻ: ﴿**يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ**

(١) المسند، للإمام أحمد بن حنبل، رقم الحديث (٨٧٩١)، (٣٩٥/١٤)، والمسند الصحيح، لمسلم، كتاب: الإيمان، باب: في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله، رقم الحديث (٢٦٦٤)، (٢٠٥٢/٤).

﴿نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلاَ يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾(١).

وقد رغَّب النبي ﷺ المسلمين في الاقتصاد على ما ينفع بناء جسدهم؛ فحذرهم من الإسراف في المأكل والمشرب، فعن المقداد بن معدي كرب أنَّه سمع النبيَّ ﷺ يقول: «**مَا مَلأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ. بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكُلاَتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لاَ مَحَالَةَ فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ**»(٢). فهذا حضٌّ من الرسول الكريم ﷺ على أن من تمام صحة الجسد أن يلتفت الإنسان إلى الاقتصاد في مأكله ومشربه، وإلى إعطاء نفسه حقَّها من الراحة من الطعام والشراب، ففي هذا الصحة المثلى للإنسان.

وقد رغَّب ﷺ في طهارة النفس كما رغَّب في طهارة البدن؛ وقد اتخذ من الصلاة المفروضة سبيلاً لبيان ذلك والحضّ عليه؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهَرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسًا، مَا تَقُولُ: ذَلِكَ يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ**». قَالُوا: لاَ يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ شَيْئًا، قَالَ: «**فَذَلِكَ مِثْلُ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ، يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الخَطَايَا**»(٣).

فالصلاة مفتاح كل خير تعطي القلب أُنسًا وسعادة، وتعطي الروح بشرًا وطمأنينة، وتعطي الجسد نشاطًا وحيوية، والإنسان لا يستمر على حال واحدة، فإن وجدته

---

(١) سورة الحج، الآية (٥).

(٢) المسند، للإمام أحمد بن حنبل، رقم الحديث (١٧١٨٦)، (٤٢٢/٢٨)، والسنن، لابن ماجه، كتاب: الأطعمة، باب: الاقتصاد في الأكل وكراهة الشبع، رقم الحديث (٣٣٤٩)، (١١١/٢)، والسنن، للترمذي، أبواب الزهد، باب: ما جاء في كراهية الأكل، رقم الحديث (٢٣٨٠)، (٥٩٠/٤). قال شعيب الأرناءوط: «رجاله ثقات، وصحح الترمذي وابن حبان والذهبي».

(٣) متفق عليه؛ الجامع الصحيح، للبخاري، كتاب: الصلاة، باب: الصلوات الخمس كفارة، رقم الحديث (٥٢٨)، (١٤١/١)، والمسند الصحيح، لمسلم، كتاب: الصلاة، باب: المشي إلى الصلاة تمحى به الخطايا وترفع به الدرجات، رقم الحديث (٦٦٧)، (٤٦٢/١).

صافيًا ساعة تعكر أخرى، وإن وجدته مسرورًا من شيء، نكَّد عليه شيء آخر، وتتعدد أنواع الصلاة، فللحضر صلاة، وللسفر صلاة، وللمرض صلاة، وللخوف صلاة، وللجمعة صلاة، وللعيدين صلاة، وللجنازة صلاة، وللاستسقاء صلاة، وللقيام صلاة، وللضحى صلاة، وكأنها بهذا التعدد تطبب الإنسان، وتداوي أسقامه، وتعالج علله وهمومه المتنوعة المتغيرة(١).

وعليه فالسنة النبوية وهي تحترم الطاقة الجسمية عند الإنسان لا تطلق لها العنان؛ بل إنها تنظمها وتضبط تصرفاتها؛ لأن الطاقة الجسمية إذا تركت وحالها لا تقف عند حد وسارت حتى تدمر الكيان البشري في كل نواحي الحياة، وواقع الحياة اليوم يشهد بهذا الأمر فحال الكفار وما يعمله هؤلاء الأشرار من أمور يزعمون أنها من باب الحضارة والرقي والتقدم أسرعت بالمجتمعات البشرية بالانحدار في مستنقعات الرذيلة؛ فسادت شريعة الغاب، وصار العالم اليوم مجتمعًا يأكل القوي فيه الضعيف، ويستعبده ويضِن عليه بأبسط حقوقه، وهكذا تكون حال من أبعد عن شريعة الله وحاربها، ووقف من كتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ موقف المعاند المحارب.

وكذلك السنة النبوية خلال تربيتها لجسم الإنسان لا تنظر إليه على أنه كتلة من العضلات والوشائج والعظام واللحم والحواس والأعضاء، وإنما يراعي الطاقة الحيوية التي تنبثق من الجسم، والتي تمثل المشاعر والانفعالات وطاقة الدوافع الفطرية؛ حيث يوجهها كما مرَّ إلى ما فيه صلاح المرء وخير المجتمع وحاجة البشرية، وفق توازن رائع لا يطغى منه جانب على جانب فلا تميل الكفة إلى ناحية من النواحي، بل يراعي في ذلك التوازن والشمول؛ ليسعد الإنسان فتسعد الدنيا بسعادته ولا غرابة في ذلك، فالرسول ﷺ مرسل من عند خالق الإنسان، وهو أعلم بما يصلح له وما يصلحه، فالسعادة إذن كل السعادة هي في الالتزام بمنهج النبيّ ﷺ في تربية الإنسان؛ لأن فيه الفلاح والفوز في الدنيا والآخرة. فنرى النبي ﷺ يحضُّ على اتباعه ﷺ، وأن السعادة الكاملة في ذلك،

(١) ينظر: الصلاة، د.عبد الله بن محمد الطيار، دار الوطن. الرياض، (ص٢٣، ٢٤).

فعن الزبير بن العوام ﷺ أنَّه سمع النبيَّ ﷺ يقول: «**دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ الْحَسَدُ وَالْبَغْضَاءُ؛ وَالْبَغْضَاءُ هِيَ الْحَالِقَةُ لَا أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعْرَ وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ أَوْ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لاَ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا وَلاَ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا. أَفَلا أُنَبِّئُكُمْ بِمَا يُثَبِّتُ ذَلِكَ لَكُمْ؟ أَفْشُوا السَّلامَ بَيْنَكُمْ**»(١).

فهنا ﷺ يعطي لأمته ترياق السعادة الأبدية، وأن ذلك نابع من الإيمان، وأنَّ ما أهلك الأمم قبلنا إلا التفريط في محبة أنفسهم، وحسدهم بعضهم بعضًا؛ فبيَّن ﷺ أن سبيل دخول الجنة هو الإيمان، وأن سبيل الإيمان هو المحبة، وأن سبيل المحبة هو إفشاء السلام بين المسلمين.

(١) المسند، للإمام أحمد بن حنبل، رقم الحديث (١٤١٢)، (٢٩/٣)، ورقم الحديث (١٤٣٠)، (٤٣/٣)، والسنن، للترمذي، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، باب: لم يسمه، رقم الحديث (٢٥١٠)، (٦٦٤/٤). قال الترمذي: «حديث صحيح».

المبحث الثالث
منهج السنة النبوية في بناء المجتمع المسلم

ليس يخفى أن لفظ المجتمع مشتق من جَمَعَ، فالجمع ضم الأشياء المتفقة وضده التفريق والإفراد، وأحسن صاحب لسان العرب حين قال في بيان معنى هذه اللفظة(١): «تجمع القوم اجتمعوا من هاهنا وهاهنا». وهو تعبير يلحظ منه استحضار صاحبه لمبدأ نشأة المجتمعات. ويمكن أن أعرف المجتمع بأنه: عدد كبير من الأفراد المستقرين، تجمعهم روابط اجتماعية ومصالح مشتركة، تصحبها أنظمة تضبط السلوك وسلطة ترعاها(٢).

ولا يتميز المجتمع المسلم من غيره من المجتمعات إلا بما فيه من خصائص ومواصفات، وعلى هدي من هذا يمكن تعريف المجتمع الإسلامي بأنه: خلائق مسلمون في أرضهم مستقرون، تجمعهم رابطة الإسلام، وتدار أمورهم في ضوء تشريعات إسلامية وأحكام، ويرعى شؤونهم ولاة أمر منهم وحكام.

وعليه فإن أي مجتمع باعتباره كيانًا قائمًا بذاته، لا بد له من أسس يبنى عليها، وتكاد تكون هذه الأسس مشتركة بين المجتمعات كلها، بيد أن المجتمع الإسلامي تميز عن غيره في هذا المجال وكان تميزه من جهتين: أما الأولى فهو أنه جعل العقيدة بكل مظاهرها والشريعة بكل أحكامها الأساس الأكبر الذي تبنى عليه الأسس الأخرى، إذ لا قيمة لأي أساس لا تكون العقيدة والشريعة متمثلة فيه قائمة عليه، وهذا ما ظهر جليًّا في التربية النبوية للمسلمين أفرادًا وجماعات؛ بخاصة في العهد المكي الذي مهد الطريق للأسس الأخرى؛ لتصبح مكونات معتبرة وهو ما حرصنا على إبرازه حين عرضنا

(١) لسان العرب، لجمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ، (٥٣/٨)، مادة «ج م ع».

(٢) ينظر: المجتمع والأسرة في الإسلام، د.محمد الطاهر الجوابي، دار عالم الكتب، الرياض، ط٣، ١٤٢١هـ، (ص١٢)، وعلم الاجتماع والمجتمع الإسلامي، د.مصطفى شاهين، ط١، ١٤١١هـ، ١٩٩١م، (ص٤٣).

لهذه الأسس وبينا كيف أن الإسلام صبغها بصبغة عقيدية وصاغها صياغة إسلامية، ومن هنا كان التميز وكانت الآثار الإيجابية(١).

أما الثانية فإنه بما أوجده من مواصفات، وبما وضعه من اعتبارات تجاه هذه الأسس، فجاء هذا المجتمع متميزًا بتميز أسسه، وهو ما أعرض له في هذا المبحث.

وعليه فيمكن القول إن الأسس العامة التي يقوم عليها بناء المجتمع الإسلامي تنقسم إلى أربعة أقسام، وقدمت القسم الأول وهو الإنسان: وقد قدمت الحديث عليه تفصيلاً في المبحث الأول، وكيف بيَّن النبيُّ ﷺ أن صلاح المجتمع مرهون بصلاح الفرد، وقد تناولت فيه أيضًا منهج السنة النبوية في بناء الروح، ومنهجها في بناء العقل، ومنهجها في بناء الجسم، بما لا مزيد عليه هنا، وإنَّما قدمتُ الكلام عليه هنا؛ لأنه الأساس الأول الذي بنى عليه النبيُّ ﷺ صلاح الأمة. والآن سأقسم هذا المبحث إلى ثلاثة مطالب على النحو التالي:

أولا: منهج السنة النبوية في بناء الروابط الاجتماعية:

فطر الله ﷻ الإنسان على حب الانتماء إلى المجتمع، فهو يميل بطبعه إلى بني جنسه ويكره العزلة، وذلك أن الاجتماع ما هو إلاَّ تعبير عن غريزة مستكنة في أعماق نفس الإنسان والجماعة، صفة لازمة من صفاته التي فُطر عليها، وعليه فحيثما وجد تجمع إنساني برزت روابط اجتماعية وصلات، والتي تتكون عبارة عن فكر وسلوك تنمو وتعمل في ظل التفاعل الاجتماعي بين الأفراد(٢).

وإن السنة النبوية تعتمد في بناء المجتمع على قوة الرابطة التي تضعها بين المسلمين، وتجعل منهم جسمًا واحدًا يتجه بقوة إلى غاية واحدة، وذلك ما يصوره الحديث النبوي المشهور؛ فعن النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنَّه قال: «**تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، كَمَثَلِ الجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ**

(١) ينظر: المجتمع والأسرة في الإسلام، د.محمد الطاهر الجوابي، (ص١٣).

(٢) ينظر: علم الاجتماع والمجتمع الإسلامي، د.مصطفى شاهين، (ص٤٣).

بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»[١]. وهذا الحديث الشريف يعاضد القرآن الكريم؛ إذ يقول الله – تعالى– مصورًا الصورة المثلى التي ينبغي أن يكون المجتمع المسلم في نشر كلمة الله ﷻ: **﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾**[٢]، وقال– عزَّ مَن قائل–: **﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾**[٣].

ويحضُّ النبيُّ ﷺ على هذا المعنى فيقول: «**الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ ﷻ فِي حَاجَتِهِ وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ ﷻ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[٤].

ويجدر بي أن أذكر في هذا المقام تميز المجتمع الإسلامي عن غيره في مجال الروابط الاجتماعية، فهو وإن أقر كثيرًا من الروابط ورعاها حق رعايتها، إلاَّ أنه جعل الرابطة العظمى والعروة الوثقى هي العقيدة وما يفيض عنها من تشريعات وهدايات؛ لأنها المرجعية الأولى والعليا لأبناء المجتمع الإسلامي في كل ما يصدر عنهم من سلوك وتصرفات فكان للعقيدة والحالة هذه دور ظاهر في إيجاد روابط اجتماعية، وفي تهذيب روابط أخرى كان قد أقرها العرف من قبلُ.

ثم بيَّن الرسول الكريم ﷺ أنه لا يجوز أن يتكلم الإنسان المسلم في عرض أخيه المسلم؛ لما له عليه من الحق والمكانة التي أولاها له الإسلام، وأن عرضه من عرضِه لا يناله إلا نال نفسه بهذا النيل؛ فعن سعيد بن زيد ﵁، عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**مِنْ**

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) سورة الصف، الآية (٤).

(٣) سورة الحجرات، الآية (١٠).

(٤) متفق عليه؛ الجامع الصحيح، للبخاري، كتاب: المظالم والغصب، باب: لا يظلم المسلم مسلمًا، ولا يُسلمه، رقم الحديث (٢٤٤٢)، (١٦٨/٣)، والمسند الصحيح، لمسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم الظلم، رقم الحديث (٢٥٨٠)، (١٩٩٦/٤)، واللفظ للبخاري، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

أَرْبَى الرِّبَا الاِسْتِطَالَةُ فِي عِرْضِ الْمُسْلِمِ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَإِنَّ هَذِهِ الرَّحِمَ شِجْنَةٌ مِنَ الرَّحْمَانِ، فَمَنْ قَطَعَهَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّة»(١). فهنا جعل النبيُّ ﷺ إتيان عرض الأخ المسلم من الربا التي حرَّم الله على عباده؛ فقال- عزَّ من قائل- محذرًا عباده من أكلها: **﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾**(٢). ثم ذكر- سبحانه وتعالى- تلك الحقيقة التي بيَّنها النبيُّ ﷺ من أن من أكل الربا الوقوع في عرض المسلم، ومن أكل لحمه؛ فقال ﷻ: **﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلاَ تَجَسَّسُوا وَلاَ يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾**(٣). فهذا القرآن الكريم والسنة الشريفة قد نصَّا على أنه لا يجوز الوقوع في عرض المسلم، وهذا من شأنه تثبيت القلوب، ومن شأنه كذلك العمل على الترابط والتوحد بين أفراد المجتمع مما يعود بالضرورة بالنفع والطمأنينة بين أفراد المجتمع.

وكما حذَّر النبيُّ ﷺ من الوقوع في عرض المسلم وجعل ذلك من الغيبة والنميمة به في غيبته، فقد أكبر الحذر من سبابه وجعله من الفسق المبير للأعمال، وحذَّر كذلك من ظلمه، وجعل المسلم على المسلم حرًّا؛ فعن عبد الله بن مسعود ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**سِبَابُ الْمُسْلِمِ أَخَاهُ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ، وَحُرْمَةُ مَالِهِ كَحُرْمَةِ دَمِه**»(٤).

---

(١) المسند، للإمام أحمد بن حنبل، رقم الحديث (١٦٥٢)، (٢/١٩٠)، والسنن، لأبي داود، كتاب: الأدب، باب: في الغيبة، رقم الحديث (٤٨٧٦)، (٤/٢٦٩)، والمستدرك على الصحيحين، للحاكم، رقم الحديث (٧٢٦٢)، (٢/٤٣). قال شعيب الأرناءوط: «حديث صحيح».

(٢) سورة آل عمران، الآية (١٣٠).

(٣) سورة الحجرات، الآية (١٢).

(٤) المسند، للإمام أحمد بن حنبل، رقم الحديث (١٦٥٢)، (٢/١٩٠). وقال شعيب الأرناءوط: «حديث صحيح».

ويرى بعض الباحثين: أن هذه الروابط منها ما هو علاقات اجتماعية؛ مثل الصداقة والمصاهرة، ومنها ما هو عمليات اجتماعية أشد تعقيدًا من سابقتها، مثل الجوار والصراع(١). ومن الباحثين من يقسم هذه الروابط إلى فطرية؛ كالقرابة، وإلى مكتسبة؛ كالجوار(٢).

ولقد تبلورت هذه الظواهر ونمت في ظل الاجتماع وتولدت منه؛ بسبب شعور كل فرد بحاجته إلى التعاون مع الآخرين والارتباط بهم؛ تحقيقًا للمصالح المشتركة، وهو ما كشف عنه رائد علم الاجتماع المسلم العلامة عبد الرحمن بن خلدون تحت فصل له في مقدمته المشهورة عنونه بـ«أن الاجتماع الإنساني ضروري». فقال: «إن قدرة الواحد من البشر قاصرة عن تحصيل حاجته من ذلك الغذاء، غير موفية له بمادة حياته منه، ولو فرضنا منه أقل ما يمكن فرضه وهو قوت يوم من الحنطة مثلاً، فلا يحصل إلا بعلاج كثير من الطحن والعجن والطبخ. وكل واحد من هذه الأعمال الثلاثة يحتاج إلى مواعين وآلات لا تتم إلا بصناعات متعددة من حداد ونجار وفاخوري، هب أنه يأكله حبًا من غير علاج، فهو أيضًا يحتاج في تحصيله حبًّا إلى أعمال أخرى أكثر من هذه، من الزراعة والحصاد والدراس الذي يخرج الحب من غلاف السنبل، ويحتاج كل واحد من هذه إلى آلات متعددة وصنائع كثيرة أكثر من الأولى بكثير. ويستحيل أن توفي بذلك كله أو ببعضه قدرة الواحد؛ **فلا بد من اجتماع القدر الكثيرة من أبناء جنسه ليحصل القوت له ولهم**، فيحصل بالتعاون قدر الكفاية من الحاجة لأكثر منهم بأضعاف»(٣).

---

(١) علم الاجتماع والمجتمع المسلم، د.مصطفى شاهين، (ص١١).

(٢) المجتمع والأسرة في الإسلام، د.محمد طاهر الجوابي، (ص١٤).

(٣) المقدمة، للعلامة عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي، دراسة وتحقيق: د.علي عبد الواحد وافي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٦م، (١/٣٤٠)، وينظر: الفكر الاجتماعي عند ابن خلدون، لعبد الغني مغربي، ترجمة: محمد الشريف بن دالي حسين، ديوان المطبوعات الجامعية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط١، ١٩٨٨م، (ص١٦٨، ١٦٩).

ويتبين لنا من النص السابق، والذي ساقه ابن خلدون إلى أي مدى كان تصور العلماء المسلمين لبناء المجتمع، وأن الأيدي العاملة شرط في الارتقاء به، والعمل على رقيه، وكيف أن ابن خلدون أعطى مثالا تقريبًا لما ينبغي أن يكون عليه المجتمع الإنساني عامة.

وفي ضوء هذه المفاهيم يمكننا القول بأن تكون الروابط الاجتماعية واحد من الأسس التي يبنى عليها المجتمع، «ولا نبعد عن الصواب إذا قلنا إن المجتمع نسيج مكون من صلات اجتماعية»(١)، كما تقدم معنا، وأكَّدته السنة النبوية؛ وَفق ما رغبت فيه، وعلى ما بينتُه فيما سبق.

ثانيا: منهج السنة النبوية في ترسيخ الضبط الاجتماعي:

مما تواضع عليه علماء الاجتماع أن الأفراد يؤثر بعضهم في بعض؛ عندما يضمهم مجتمع واحد، فينشأ عن هذا مجموعةٌ من السلوكيات والأحاسيس والتصورات، تختلف عما يفكر فيه الفرد ويحس به أو يريده لنفسه، وربما اتخذت الجماعات قرارات لم يردها بعض أفرادها لو خلوا بأنفسهم؛ لاختلاف الإرادة الفردية عن الإرادة الجماعية، وكأن هذا يعني وجود شخصية جماعية تفرض نفسها على الأفراد(٢).

ويسمي علماء الاجتماع هذا الذي أشرت إليه بـ«الضبط الاجتماعي»، ويعني عندهم: ضرورة الوعي بشعور الآخرين، ومراعاة حقوقهم وانتهاج سلوك يتأثر بهذا الوعي وهذا السلوك(٣).

لقد تنبه المعنيون بشؤون المجتمع إلى أهمية هذا الأساس في بنائه، وكان غاية ما توصلوا إليه من أجل تحقيق هذا الغرض ما سمي بنظرية العقد الاجتماعي، والتي اتضحت معالمها على يد العالم الشهير جون جاك روسو؛ وهي «فكرة مادية تقوم في

(١) المجتمع الإسلامي، د.محمد أمين المصري، دار الأرقم، الكويت، ط١، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م، (ص١٢).

(٢) ينظر: المعجم الفلسفي، د.جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، بيروت، (ص٤١١) بتصرف يسير.

(٣) ينظر: قاموس علم الاجتماع، د.محمد عاطف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د.ت، (ص٤١٠).

حقيقتها على تبادل المصالح والتعايش بين الناس؛ لينال كل منهم حقوقه، وهي محاولة لا بأس بها لكف نوازع العدوان والتسلط»[١]، لكنها لا تقوى هي ولا مثيلاتها بحال على التأليف بين قلوب أفراد المجتمع، ولا بث المحبة بينهم، ولا زرع روح التسامح في المجتمع، فهي لا تزيد على كونها محاولة للتوفيق بين الرغائب، والملاءمة بين المصالح، حتى لا يحدث تصارع ولا اختلاف.

أما الإسلام فقد امتاز بمنهج في هذا المجال ما عرفت البشرية في تاريخها الطويل منهجًا يوازيه أو يدانيه؛ سلك فيه مسالك متنوعة، فآتت ثمارها، وكان من ذلك أن زين لأفراد المجتمع طريقًا سهلاً موصلاً للجنة ولرضوان الله عن طريق محبة الآخرين، وقد أكَّد النبيُّ ﷺ هذه السبيل وعمل على إبرازها، وأن تعمل عليها الأمة؛ وَفق هدي كتاب الله ﷻ وهدي رسوله ﷺ؛ فعن الزبير بن العوام رضي الله عنه أنَّه سمع النبيَّ ﷺ يقول: «**دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ الْحَسَدُ وَالْبَغْضَاءُ؛ وَالْبَغْضَاءُ هِيَ الْحَالِقَةُ لَا أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعْرَ وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ أَوْ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا أَفَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِمَا يُثَبِّتُ ذَلِكَ لَكُمْ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ**»[٢].

فهنا جعل النبيُّ ﷺ انتشار المحبة المتبادلة بين أفراد المجتمع علامة على تحقق الإيمان، ورتب عليه دخول الجنة وهذا من أعظم الحوافز التي توضع بين يدي المسلم اليقظ، ولا شك أن المحبة في الله إذا فشت بين أفراد المجتمع، كان لها من الآثار والثمار ما هو كفيل بتجاوز كثير من الأزمات، ونمو التسامح في المعاملات.

وكذلك رغَّب النبيُّ ﷺ أبناء الإسلام وأفراده في العناية بقضايا المجتمع وحاجات أفراده، ورتب على هذا مكاسب عظيمة، قد بيَّنها ﷺ، وحضَّ على العمل بها وحذَّر من الانسلال عنها؛ فعن عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما-، عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال:

(١) ينظر: المجتمع الإسلامي، د.مصطفى عبد الواحد، (ص٤١-٤٣)، بتصرف يسير.

(٢) حديث صحيح، تقدم تخريجه.

«الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ مَنْ كَانَ فِى حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ ﷻ فِى حَاجَتِهِ وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ ﷻ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(١).

وعليه فلقد أوجدت هذه النصوص الشرعية وأمثالها، رقابة ذاتية لدى الإنسان المسلم، وحافزًا داخليًا يحمله على التفاعل الإيجابي مع أبناء مجتمعه، وتجعله يستحضر المسئولية المنوطة به تجاههم، وتكون ثمرة هذا كله أن تقوى أواصر المحبة والتسامح والنصح والإيثار وحسن العشرة وكف الأذى بين أفراد المجتمع، وهو ما يسند نظم المجتمع ويبرز معالم الانضباط فيه.

ثالثا: منهج السنة النبوية في بناء الوطن المسلم:

يعد بناء الوطن وإيجاد الأرض الصالحة لإقامة مجتمع ما أساسًا من الأسس التي يبنى عليها المجتمع، وبيان هذا: أن الله- تبارك وتعالى- أنزل الإسلام بأحكامه وتشريعاته ليحكم في الأرض، ويطبق على أرض الواقع، ويتمثله الناس في شئُون حياتهم؛ من أجل تقديم أنموذج حي ومثالي لمجتمع مسلم متميز يقوم بأمر الله ويعمل على إقامة حقِّ الاستخلاف، والذي من أجله خلق الله الإنسان وأنزل إلى الأرض.

ولا يخفى أن هذه الغايات الكبرى تستدعي بعض العوامل المساعدة على تحقيقها، منها توفر حرية التصرف لدى الأفراد، والسلامة من التأثير الخارجي، ووجود مناخ مناسب؛ لإقامة أحكام الله وتشريعاته، ثم وجود سلطة تملك صلاحية اتخاذ القرار وتنفيذه، ويتعذر توافر هذه العوامل أو يكاد إذا لم توجد بقعة من الأرض تجمع المسلمين، وتكون الكلمة فيها لهم.

وتتضمن سيرة النبي ﷺ وأصحابه الكرام إشارات توضح هذا المعنى، فإن النبي ﷺ لما بعث في مكة وصار له أتباع، حرصوا على الالتفاف حول النبي ﷺ وتكوين تجمع خاص بهم، متميز في كثير من نواحي الحياة عن المجتمع الجاهلي الكبير الذي يعيشون

(١) حديث صحيح، تقدم تخريجه.

فيه، فأمكنهم التميز في جوانب؛ كالعبادات والأخلاق، وتعذر التميز في جوانب أخرى كالمعاملات العامة(١)، ولم يكن للإسلام يومئذ قانون نافذ، ولم يكن له قوة يستطيع بها تنفيذ تعاليمه، فكان الوازع الداخلي لدى المسلمين آنذاك، مغنيًا عن القانون والسلطان.

وكذلك قد بحث النبي ﷺ منذ وقت مبكر عن أرض يقيم بها هو وأصحابه؛ لينشئ مجتمعًا خاصًا، فقصد أهل الطائف فلم يجيبوه، ثم عرض دعوته على أهل المدينة، فاستجاب أهلها الكرام لدعوته، وفتحوا أبواب مدينتهم أمام الرسول ﷺ وجموع المسلمين من كل مكان، فكانت الهجرة من أعظم أحداث التاريخ الإسلامي على الإطلاق؛ لأنها هيأت الأرض ووفرت المناخ المناسب لإقامة مجتمع إسلامي مستقل ومتميز، فبدأت معالم هذا المجتمع تبرز للعيان، وتتابعت التشريعات في شتى المجالات بخاصة تلك التي تنظم العلاقات والمعاملات بين أفراد المجتمع الواحد.

ولقد تضمن القرآن الكريم ربطًا بين إقامة الأحكام الشرعية وبين التمكين في الأرض وجعل ذلك شرطًا للتمكين؛ حين قال – تعالى–: ﴿**الَّذِينَ إِنْ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُواْ الصَّلَاةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ وَأَمَرُواْ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ**﴾(٢). فقد سيقت الآية الكريمة في مقام الشكر لبيان أن التمكين في الأرض يقتضي شكر الله – تعالى– بإقامة أحكامه التي أمر بها بسبب زوال كثير من العوائق(٣).

ثم نرى النبيَّ ﷺ يدعو ربَّه أن يحبب أصحابه في المدينة بعد أن سكنها واتخذها وطنًا له ولدولته التي أسسها على تقوى من الله؛ فعن أم المؤمنين عائشة– رضي الله عنها–، قالت: قدمنا المدينة وهي وبيئة، فاشتكى أبو بكر، واشتكى بلال، فلما رأى

(١) ينظر: أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، للعلامة الطاهر بن عاشور، الشركة التونسية للتوزيع، المؤسسة الوطنية للكتاب، تونس، ط٢، ١٩٨٥م، (ص٨٦).

(٢) سورة الحج، الآية (٤١).

(٣) ينظر: تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، للعلامة الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ط١، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م، (٢٨٠/١٧).

رسول الله ﷺ شكوى أصحابه، قال: «**اللهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَمَا حَبَّبْتَ مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ، وَصَحِّحْهَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِهَا وَمُدِّهَا، وَحَوِّلْ حُمَّاهَا إلى الْجُحْفَةِ**»(١).

ويمكني القول في ضوء ما تقدم: إن الأرض من أسس بناء المجتمع الإسلامي، ويتعذر إقامة مجتمع واضح المعالم ما لم يكن للمسلمين أرض، لهم فيها القول والفصل، والحكم والأمر.

(١) متفق عليه؛ الجامع الصحيح، للبخاري، كتاب: فضائل المدينة، باب: كراهية النبي ﷺ أن تعرى المدينة، رقم الحديث (١٨٨٩)، (٣/٣٠)، والمسند الصحيح، لمسلم، كتاب: الحج، باب: الترغيب في سكن المدينة والصبر على لأوائها، رقم الحديث (١٣٧٦)، (٢/١٠٠٣)، واللفظ لمسلم.

المبحث الرابع
سمات بناء الإنسان وأثره في المجتمع
بين الإسلام والحضارة الغربية

تبين من المبحثين السابقين أن للإسلام نظرته المستقلة للأسس التي يقوم عليها بناء الإنسان، ومن ثمَّ بناء المجتمع المسلم وَفق ما أراده الله، وقد أدت هذه النظرة وما صاحبها من مواصفات لهذه الأسس إلى تميز المجتمع الإسلامي عن غيره من المجتمعات بعدد من السمات جعلته بحق مجتمعًا فريدًا لم تعرف البشرية مجتمعًا غيره جمع في ثناياه هذه السمات الحميدة؛ ليكون نموذجًا يرتجى، ومثالاً يحتذى عند العقلاء من بني البشر، وقد صدق العلامة الدكتور إسماعيل راجي الفاروقي؛ إذ وصف المجتمع المسلم في بعده الاجتماعي فقال: «الإسلام فريد في بعده الاجتماعي، بشكل مطلق، بين كل ما عرفه العالم من أديان ومن حضارات. ففي مقابل الأديان الأخرى، يعرف الإسلام الدين بأنه شأن خاص بالحياة ذاتها بزمانها ومكانها وبعملية التاريخ، معلنا أنها بريئة وخيرة ومرغوب فيها؛ لأنها من خلق الله – تعالى–، وهى منة منه، ومن هنا فإن الإسلام يعلن أن الشأن الحياتي ذاته، ومسألة الزمان والمكان، وعملية التاريخ، يدخلون في نطاق الدين. فهم أساس التقوى والصلاح لدى إحسان الإنسان التصرف فيهم، وهم لب العقوق والفساد لدى تعاطيه معهم على عكس مراد الله – تعالى–»[(١)].

في المجتمع الإسلامي مظاهر عدة تشهد على أنه مجتمع جاد لا مكان فيه لصغائر الأمور وسفاسفها، ويمكن أن نعد الحرص على العلم النافع والسعي إلى العمل الصالح، أبرز مظهرين يتضح من خلالهما جدية هذا المجتمع.

المظهر الأول: العلم النافع:

إن العلم النافع هو كل علم يحقق مرضاة الله – تعالى– ويجلب النفع لعباده، فالمجتمع الإسلامي يرحب بهذا العلم ويهيئ المناخ المناسب له؛ لأنه الوسيلة الفاعلة

(١) التوحيد: مضامينه على الفكر والحياة، د.إسماعيل راجي الفاروقي، ترجمة: د.السيد عمر، مدرات للأبحاث والنشر، القاهرة، ط١، ربيع الأول ١٤٣٥هـ، يناير ٢٠١٤م، (ص١٥٧).

لتحقيق مقاصد ثلاثة يحرص المجتمع عليها وهي توجيه التفكير، وإصلاح العمل، وإيجاد الوازع النفسي(١).

فالمجتمع الإسلامي يرفض كل علم لا يكون وسيلة لتحقيق إحدى الغايات السامية للمجتمع، ويصنفه على أنه علم لا ينفع، وقد أرشدنا النبي ﷺ إلى هذا الفهم حين استعاذ من هذا العلم، فكان يقول: «**اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لاَ يَنْفَعُ، وَعَمَلٍ لاَ يُرْفَعُ، وَقَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَقَوْلٍ لاَ يُسْمَعُ**»(٢). فهذا النوع من العلم، يسعى المجتمع الإسلامي إلى محاصرته والتضييق على أهله أيًا كان الوعاء الذي يظهر فيه هذا العلم؛ لأن محصلته واحدة وهي الترويج للعبث وإضاعة الوقت، والتشكيك في الثوابت، وإثارة الشبهات، وهي أمور كان يخلو المجتمع الإسلامي منها في عصوره الذهبية.

المظهر الثاني العمل الصالح:

يتبع العلم النافع العملُ الصالح؛ إذ إنهما متلازمان، ولا يتصور انفصالهما؛ إذ لا يكون العمل صالحًا ما لم يبن على علم نافع، ولهذا قدَّم الله – تعالى– الأمر بالعلم على الأمر بالعمل في قوله – تعالى–: ﴿**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ**﴾(٣). وعليه فإن مفهوم العمل الصالح مرتبط بمفهوم العبادة كما يفهمها المجتمع الإسلامي، فدائرة العمل الصالح واسعة، فكل عمل يؤدي إلى مرضاة الله ويجلب النفع إلى البشرية، فهو عمل صالح يرحب به المجتمع الإسلامي، ويفتح له أبوابه ويشجع عليه أصحابه، وليس من طبيعة المجتمع الإسلامي تصنيف الأعمال إلى رفيع ووضيع، ولا التنفير من عمل قط ما دام صالحًا وتدعو الحاجة إليه.

---

(١) ينظر: أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، للعلامة الطاهر بن عاشور، (ص٩١).

(٢) المسند، للإمام أحمد بن حنبل، رقم الحديث (١٣٦٧٣)، (٢١/٢٥٠). قال شعيب الأرناءوط: «إسناده صحيح على شرط مسلم».

(٣) سورة محمد، الآية (١٩).

وتبقى حقيقة قائمة هي أن الإسلام يعتبر ما هو شخصي شرطًا ضروريًّا مسبقا لما هو اجتماعي، ولكنه يعتبر الشخصية الإنسانية التي تقف عند حد ما هو شخصي ولا تتجاوزه لما هو اجتماعي، شخصية متنكبة للصراط المستقيم. ويتفق الإسلام مع كل الأديان التي تعنى بغرس القيم الشخصية، ويعترف بأن تلك القيم؛ وفى مقدمتها: الخوف من الله، والإخلاص، وطهارة القلب، والتواضع، وحب الخير وملازمته، وكل كوكبة المعاني المتضمنة في المصطلح التقليدي الخاص بالإنسان المحب للجميع، ضرورية بشكل مطلق، بل هي الشرط اللازم لكل فضيلة ولكل صلاح.

ويتصف المجتمع الإسلامي كذلك بأنه مجتمع آمن، والأمن مطلب رئيس للمجتمعات جميعها، بيد أن حصولها عليه ليس بالأمر اليسير، وإن الوقائع والأحداث من حولنا لتشهد بهذا، فثمة تلازم واضح بين الأمن والإيمان، وبين الكفر والخوف، قال الله – تعالى–: ﴿**وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ**﴾(١). وعن أبي هريرة – رضي الله تعالى عنه–، عن النبيّ ﷺ قال: «**لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ لاَ يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ**»(٢).

وختامًا: أقول: لما كان المجتمع الإسلامي مجتمعًا مؤمنًا ملتزمًا، كان بالضرورة آمنًا، ونحسب أننا لا نبالغ عندما نقول إن البشرية قلما شهدت مجتمعًا ساده الأمن والأمان كالمجتمع الإسلامي على مر العصور، وحسبنا دليلاً على هذا تلك الأرقام

(١) سورة النحل، الآية (١١٢).

(٢) متفق عليه؛ الجامع الصحيح، للبخاري، كتاب: الأدب، باب: إثم من لا يأمن جاره بوائقه، رقم الحديث (٦٠١٦)، (١٢/٨)، والمسند الصحيح، لمسلم، كتاب: الإيمان، باب: بيان تحريم إيذاء الجار، رقم الحديث (٤٦)، (٦٨/١)، واللفظ لمسلم. والبوائق: جمع بائقة؛ وهي الغائلة والداهية والفتك.

والإحصاءات التي تتحدث عن أعداد مذهلة ومخيفة من جرائم القتل والسرقة والاغتصاب، تشهدها الدول المتقدمة، والتي تصنف على أنها دول العالم الأول(١).

خاتمة البحث

تناول هذا البحث «**بناء الإنسان في السنة النبوية**»، وقد أسفرت الدراسة عن ثبوت صحة فرض الدراسة من وجود دلائل في الشريعة الإسلامية على ما جاء في نظريات علم الاجتماع في الغرب فيما يخص بناء الإنسان وَفق ما فطره الله عليه، ووفق ما يتفق مع العقل الإنساني، بل وأعظم من ذلك، ومن المعلوم بالضرورة أن لكل عمل نتائج وثمرات في نهايته، وقد توصلتُ إلى عدد من النتائج البحثية أثناء عملي، أريد أن أسجلها في النقاط التالية:

١- إن السنة النبوية تحمل في نصوصها الكثير من سمات بناء الفرد ، عبادة وتزكية، وذكرا وأخلاقا، والتي من شأنها أن ترفع الفرد والمجتمع، مما يحتم على الباحثين التنظير لهذه السمات والخصائص والمقومات، والعمل على ترسيخها.

٢- لقد كشفت الدراسة التعرف على الأساليب التي اتبعها النبي ﷺ في تقويم الفرد، وبناء شخصيته، وأثرها على المجتمع.

٣- حرص السنة على تحقيق الصفاء النفسي والاجتماعي للأفراد، وجعلهم في بيئة صحية ملائمة .

---

(١) أود أن أذكر في هذا المقام، بعد أن بينت الفرق الجوهري بين المجتمع الإسلامي وغيره من المجتمعات- بعض الإحصاءات الخاصة بالجهات التعليمية في أمريكا فقط لتكون مؤشِّرًا وشاهدًا على ما ذكرنا، وهي على النحو التالي:

فقد ذكرت الدراسات أن ٨٠% من طلاب المدارس في أمريكا يتعاطون المخدرات، ويحدث في المدارس الأمريكية ٢٧٠٠٠٠ حالة عنف تصل خسارة المدارس بسببها إلى ٥٠٠ مليون دولارًا سنويًّا. وكذلك دلت الإحصاءات أن ٥٠ ألف فتاة ممن هن دون سن ١٤ سنة في المدارس الأمريكية يحملن بطرق غير مشروعة كل عام. ويقتل في المدارس الأمريكية كل يوم طفلين بسبب أعمال العنف بين الطلاب.

ويمكن لمزيد من المعلومات والإحصاءات في هذا الشأن أن يراجع كتاب: الرعاية السعودية للأقليات الإسلامية في عهد خادم الحرمين الشريفين، د.زيد العيص.

٤- إن بناء الفرد شرط بناء المجتمع، وصحة بناء هذا الفرد من صحة المجتمع وارتقائه، وإن أي تخلف في تقويم هذا الفرد يعود بالضرر ضرورة على المجتمع.

٤- إن النهوض بالشخصية الإنسانية يتوقف على مدى استيعابها لحق الله عليها أولاً ثم حقّ رسوله ﷺ، ثم حقّ نفسه وأهله، وحقّ الناس عليه.

٥- إن الإسلام يعترف بتجمع البشر، بالفطرة في أسر وقبائل وأقوام، ويعتبر تلك الأنساق من خلق الله - تعالى- ومن جعله وتقديره - سبحانه وتعالى-.

٦- إن النظام الاجتماعي للإسلام عالمي، يحتضن الجنس البشرى كله دون أي استثناء. وكل إنسان هو بحكم مولده عضو فيه.

أما عن التوصيات التي أراها مهمة لإيفاء الموضوع حقه الكامل من البحث والدراسة، فكالتالي:

١- ضرورة اهتمام الآباء والمربين بالأبناء والطفولة والمراهقة، والمسئولين عن النشء- باتباع أساليب بناء الإنسان الصالح من السنة النبوية .

٢- تركيز وزارات التربية والتعليم في العالم الإسلامي بوضع مناهج دراسية - للمرحلة الابتدائية والمرحلة الثانوية؛ وهما المرحلتان التربويَّتان اللتان تقابل مرحلتي الطفولة والمراهقة- تتناول فيها السنة النبوية ومخاطبتها للجانب العقلي والجانب الوجداني من الشخصية الإنسانية، وخاصة في منهج التربية الدينية.

٣- دعوة للباحثين والكتاب، من أجل تقديم تصور مقترح؛ للاستفادة من منهج الرسول الكريم ﷺ في بناء الشخصية المسلمة؛ من خلال سنته وسيرته ﷺ، وتقديمها كأحد السبل التكوينية لبناء المجتمع المسلم؛ إذ مثل هذا الموضوع لا يحيط به مثل هذا البحث المقتضب، إلا نزرا يسيرا منه؛ وعليه فينبغي على الباحثين الالتفات إلى هذا الجانب ومحاولة إثرائه، والعمل على إبرازه.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل

فهرس المصادر والمراجع

١- أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، للعلامة الطاهر بن عاشور، الشركة التونسية للتوزيع، المؤسسة الوطنية للكتاب، تونس، ط٢، ١٩٨٥م.

٢- تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، للعلامة الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ط١، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.

٣- التربية الروحية في الإسلام، د.علي عبد الحليم محمود، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، د.ت.

٤- التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام، د.أكرم ضياء العمري، مركز الدراسات والإعلام، دار إشبيليا، الرياض، د.ت.

٥- التعريفات، لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

٦- تفسير القرآن الحكيم: تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا القلموني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط١، ١٤١١هـ- ١٩٩٠م.

٧- التوحيد: مضامينه على الفكر والحياة، د.إسماعيل راجي الفاروقي، ترجمة: د.السيد عمر، مدرات للأبحاث والنشر، القاهرة، ط١، ربيع الأول ١٤٣٥هـ- يناير ٢٠١٤م.

٨- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٩- الجامع الصحيح، للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن بردزبه الجعفي البخاري، دار الشعب، القاهرة، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

١٠- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، لزين الدين أحمد بن محمد بن رجب، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.

١١- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ، ١٩٦٤م.

١٢- الرعاية السعودية للأقليات الإسلامية في عهد خادم الحرمين الشريفين، تأليف د.زيد العيص.

١٣- الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، لشمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: إبراهيم رمضان، دار الفكر العربي، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م.

١٤- السنن الكبرى، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: د.عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

١٥- السنن، لأبي داود سليمان بن الأشعث، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، د.ت.

١٦- السنن، لأبي عبد الله محمد بن يزيد، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية: فيصل عيسى البابي الحلبي، د.ت.

١٧- السنن، لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

١٨- السنن، لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الأولى، ١٤١٢هـ، ٢٠٠٠م.

١٩- الصلاة، د.عبد الله بن محمد الطيار، دار الوطن، الرياض، د.ت.

٢٠- علم أصول الفقه، عبد الوهاب خلاف، مكتبة الدعوة، دار القلم، الكويت، ط٨، د.ت.

٢١- علم الاجتماع والمجتمع الإسلامي، د.مصطفي شاهين، ط١، ١٤١١هـ-١٩٩١م.

٢٢- الفكر الاجتماعي عند ابن خلدون، لعبد الغني مغربي، ترجمة: محمد الشريف بن دالي حسين، ديوان المطبوعات الجامعية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط١، ١٩٨٨م.

٢٣- فلسفة التربية في القرآن الكريم، د.عمر أحمد عمر، دار المكتبي، دمشق، سوريا.

٢٤- قاموس علم الاجتماع، د.محمد عاطف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د.ت.

٢٥- لسان العرب، لجمال الدين محمد بن مكرم، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

٢٦- المجتمع الإسلامي، د.محمد أمين المصري، دار الأرقم- الكويت، ط١، ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م.

٢٧- المجتمع الإسلامي، د.مصطفي عبد الواحد، جدة: دار البيان العربي، ط٢، ١٤٠٤هـ.

٢٨- المجتمع والأسرة في الإسلام، د.محمد الطاهر الجوابي، الرياض: دار عالم الكتب، ط١٤٢١،٣هـ.

٢٩- محاسن التأويل، لمحمد جمال الدين بن محمد القاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.

٣٠- المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بابن البيّع، تحقيق: مصطفي عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ- ١٩٩٠م.

٣١- المسند الصحيح، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق: محمد فؤاد بعد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

٣٢- المسند، للإمام أحمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: شعيب الأرناءوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

٣٣- المعجم الفلسفي، د.جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د.ت.

٣٤- المقدمة، للعلامة عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي، دراسة وتحقيق: د.علي عبد الواحد وافي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٦م.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة البحث	
المبحث الأول: أسس بناء الإنسان في السنة النبوية.....	
المبحث الثاني: منهج السنة النبوية في بناء الإنسان.....	
المبحث الثالث: منهج السنة النبوية في بناء المجتمع المسلم.....	
المبحث الرابع: سمات بناء الإنسان وأثره في المجتمع بين الإسلام والحضارة الغربية.....	
خاتمة البحث.....	
فهرس المصادر المراجع.....	
فهرس الموضوعات.....	